قافية الجيم

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي، ويذكر وقعته بالخرمية: [من البسيط]

أَبــى فَــلا شَــنَبًا يَهــوى وَلا فَلَجــا ... وَلا اِحــوِرارًا يُراعيــهِ وَلا دَعَجــا[1]

كَفــى فَقَــد فَرَّجَــت عَنــهُ عَزيمَتُــهُ ... ذاكَ الوَلــوعَ وَذاكَ الشَــوقَ فَانفَرَجــا[2]

كانَــت حَــوادِثُ في موقــانَ مــا تَرَكَــت ... لِلخُرَّمِيَّــةِ لا رَأسًــا وَلا ثَبَجــا[3]

تَهَضَّــمَت كُــلَّ قَــرمٍ كــانَ مُهتَضِــمًا ... وَفَتَّحَــت كُــلَّ بــابٍ كــانَ مُرتَتِجــا[4]

أَبلِــغ مُحَمَّــدًا المُلقــي كَلاكِلَــهُ ... بِــأَرضٍ خُــشَّ أَمــامَ القَــومِ قَــد لُبِجــا[5]

مــا سَرَّ قَومَــكَ أَن تَبقــى لَهُــم أَبَــدًا ... وَأَنَّ غَــيرَكَ كــانَ اِستَنزَلَ الكَــذَجا[6]

لَمّــا قَــرا النــاسُ ذاكَ الفَــتحَ قُلــتُ لَهُــم ... وَقــائِعٌ حَــدِّثوا عَنهــا وَلا حَرَجــا[7]

أَضــاءَ سَــيفُكَ لَمّــا اِجتُــثَّ أَصــلُهُمُ ... ما كانَ مِن جانِبَي تِلكَ البِلادِ دَجا[8]

---

(١) النشب: رقة الثغر. الفلج: تباعد ما بين الأسنان. الحور: اشتداد بياض العين وسواد سوادها. الدعج: سواد العين مع سعتها.

(٢) الولوع: الحب الشديد. يقول في البيتين (١ و٢): لقد أبى الممدوح أن يجري وراء الجمال، فلا حاجة بك لأن تعذليه لأن عزيمته صرفته عن هواه إلى واجبه..

(٣) موقان: موضع. الخرمية: فرقة من الإسماعيلية كان زعيمها بابك، وهذه الفرقة لم تكن تراقب دينًا، ولا تحظر على أنفسها شيئًا مما يحظره الشرع. الثبج: الظهر. يريد أنهم استؤصلوا.

(٤) تهضمت: اغتصبت، أو ظلمت. القرم: السيد. المرتتج: المغلق. هذه الحوادث اغتصبت كل ظالم وفتحت كل حصن مغلق.

(٥) ألقى كلاكله: يريد احتل أرض خش، ومفرد الكلاكل كلكل: وهو الصدر. ليج: ألقى نفسه على الأرض من تعب، أو مرض. يقول: لقد أوقد العدو في هذه الحرب نارًا في طريق ضيق ليمنع محمد بن يوسف عن المسير، فلبس ثياب النفاطين على الحديد ورمى بنفسه على النار.

(٦) استنزل الكذج: أي استنزل أهل الكذج وهو موضع. يريد أن قومك على جبهم لك ما كان ليسرهم أن تخلد أنت، ويتولى الفتح غيرك.

(٧) قرا: مخففة من قرأ. لا حرج: أي لا إثم عليكم إن حدثتم عن هذه الوقائع، فكل ما تقولونه فيها حق.

(٨) اجتث: قطع. دجا: أظلم. أي لما اجتث أصلهم، أضاء سيفك ما كان دجا في تلك البلاد.

مِن بَعدِ ما غودِرَت أُسدُ العَرينِ بِهِ ... يَتبَعنَ قَسرًا رَعاعَ الفِتنَةِ الهَمَجا

لا تَعدَمَنَّ بَنو نَبهانَ قاطِبَةً ... مَشاهِدًا لَكَ أَمسَت في العُلى سُرُجا[1]

إِن كانَ يَأرَجُ ذِكرٌ مِن بَراعَتِهِ ... فَإِنَّ ذِكرَكَ في الآفاقِ قَد أَرِجا

وَيَومَ أَرشَقَ وَالآمالُ مُرشِقَةٌ ... إِلَيكَ لا تَتَبَغّى عَنكَ مُنعَرَجا[2]

أَرضَعتَهُم خِلفَ مَكروهٍ فَطَمتَ بِهِ ... مَن كانَ بِالحَربِ مِنهُم قَبلَهُ لَهِجا[3]

للهِ أَيّامُكَ اللاتي أَغَرتَ بِها ... ضَفرَ الهُدى وَقَديمًا كانَ قَد مَرَجا[4]

كانَت عَلى الدينِ كَالساعاتِ مِن قِصَرٍ ... وَعَدَّها بابَكٌ مِن طولِها حِجَجا[5]

أَصبَحتَ تَدلِفُ بِالأَرضِ الفَضاءِ لَهُ ... نَصبًا وَأَصبَحَ في شِعبَيهِ قَد لَجِجا[6]

عادَت كَتائِبُهُ لَمّا قَصَدتَ لَها ... ضَحاضِحًا وَلَقَد كانَت تُرى لُجَجا[7]

لَمّا أَبَوا حُجَجَ القُرآنِ واضِحَةً ... كانَت سُيوفُكَ في هاماتِهِم حُجُجا

أَقبَلتَهُ فَخمَةً جَأواءَ لَستَ تَرى ... في نَظمِ فُرسانِها أَمتًا وَلا عِوَجا[8]

---

(١) السرج، مفردها سراج.

(٢) أرشق: موضع. مرشقة: من قولهم: أرشقت المرأة أو الظبية رأسها: إذا أدامت النظر ومدت عنقها. تتبغى: تطلب. المنعرج: المنعطف.

(٣) الخلف: الضرع، استعاره للمكروه. لهج: ولع. أي: فطمت بهذا المكروه عن الحرب من كان منهم ولوعًا بتأجيجها.

(٤) أغرت: أحكمت فتل الضفر، والضفر: الحبل المضفور، استعاره للهدى. مرج: اضطرب. أي: رددت الأمور إلى نصابها من بعد ما اضطربت.

(٥) أراد: كانت قصيرة على الدين لظفر المسلمين بالكفار.

(٦) تدلف: تمشي رويدًا. نصبًا: من نصب لفلان الشر: أظهره، عاداه. لجج: علق. أي كنت تقصد بابك مباشرة، فيما كان يختبئ منك.

(٧) الضحاضح، مفردها ضحضاح: الماء القريب العمق. اللجج، مفردها لجة: معظم الماء. أي ظهرت كتائب بابك أمامك ضعيفة وكان يهدد بها ويتوعد.

(٨) أقبلته: استقبلته بكتيبة فخمة، أي كبيرة، كدراء اللون من الحدي؛ ويروى: وأقبلت فخمة جأواء. الأمت: الانخفاض والارتفاع.

إذا عَـلا رَهَـجٌ جَلَّـت صَـوارِمُها ... وَالـذُبَّلُ الـزُرقُ مِنهـا ذَلِـكَ الرَهَجـا

بـيضٌ وَسُـمرٌ إِذا مـا غَمـرَةٌ زَخَـرَت ... لِلمَـوتِ خُضتَ بِهـا الأَرواحَ وَالمُهَجـا

نَزّالَـةٌ نَفـسَ مَـن لاقَـت وَلا سِـيَما ... إِن صـادَفَت ثُغـرَةً أَو صـادَفَت وَدَجـا[1]

رَأيُ الحُمَيـدَينِ أَلقَحـتَ الأُمـورَ بِـهِ ... مَن أَلقَحَ الـرَأيَ في يَـومِ الـوَغى نَتَجـا[2]

لَـو عايَنـاكَ لَقـالا بَهجَـةً جَـذَلًا ... أَبرَحتَ أَيسَرُ ما في العِرقِ أَن يَشِـجا[3]

أَحَطـتَ بِـالحَزمِ حَيزومًـا أَخـا هِمَـمٍ ... كَشّـافَ طَخيـاءَ لا ضَـيقًا وَلا حَرَجـا[4]

فَـالثَغرُ وَالسـاكِنوهُ لا يَـؤودُهُمُ ... ما عِشتَ فيهِم أَطارَ الدَهرُ أَم دَرَجـا[5]

سَـمَّوا حُسـامَكَ وَالهَيجـاءُ مُضرَـمَةٌ ... كَـربَ العُـداةِ وَسَـمَّوا رَأيَـكَ الفَرَجـا[6]

إِن يَـنجُ مِنـكَ أَبـو نَصرٍ ـ فَعَـن قَـدَرٍ ... تَنجو الرِجالُ وَلَكِن سَلهُ كَيفَ نَجـا[7]

قَـد حَـلَّ في صَـخرَةٍ صَـمّاءَ مُعنِقَـةٍ ... فَانحِـت بِرَأيِـكَ في أَوعارِهـا دَرَجـا[8]

وَغـادِهِ بِسُـيوفٍ طالَمـا شُـهِرَت ... فَأَخلَفَـت مُترَفًـا مـا كـانَ قَبـلُ رَجـا

---

(١) نزالة: أي إن السيوف والرماح تنزل نفس من لاقت. الثغرة: نقرة النحر بين الترقوتين. الودج: عرق في العنق ينتفخ عند الغضب؛ عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة.

(٢) أراد بالحميدين: حميد بن فحطبة وحميد الطوسي وكلاهما طائيان. نتج: أي نتج الصواب، واستعار الإلقاح والنتاج للحرب. وقوله: ألقح الرأي: أراد حسن التدبير.

(٣) البهجة: السرور، ظهور الفرح. الجذل: الفرح. أبرحت: كلمة مدح بمعنى أحسنت، أتيت بالعجب. يشج: يتصل. يقول: لو عاينك الحميدان لقالا: إن أيسر ما يناله من له قريب محمود الخلق أو مذموهه، أن يتصل ذلك العرق، فيكون فيه شيء مما في نسيبه.

(٤) الحيزوم: وسط الصدر. الطخياء: الليلة المظلمة، وأراد بها الفتنة. الحرج: المكان الضيق. أي أحاط بالحزم ولم يضيق صدرك بالحزم ولم يضق بالفتنة والخطر.

(٥) لا يؤودهم: لا يثقل عليهم. درج: انقرض. يقول: ما دمت حيًا، لن يخشى أهل الثغور نوائب الدهر.

(٦) سموا: الضمير لساكني الثغر.

(٧) أبو نصر: بابك الخرمي.

(٨) معنقة: مرتفعة. وأراد بالدرج: السبيل إليها. أي اجتهد في الرأي لكي تصل إلى معقل بابك.

وَشُـزَّبٍ مُضـمَراتٍ طالَمـا خَرَقَـت ... مِـنَ القَتـامِ الَّـذي كـانَ الـوَغى نَسَـجا[1]

وَيوسُـفِيِّينَ يَـومَ الـرَوعِ تَحسِـبُهُم ... هوجًـا وَمـا عَرَفـوا أَفنًـا وَلا هَوَجـا[2]

مِـن كُـلِّ قَـرمٍ يَـرى الإِقـدامَ مَأدُبَـةً ... إِذا خَـدا مُعلِـمًا بِالسَـيفِ أَو وَسَـجا[3]

تَنعـى مُحَمَّـدًا الثـاوي رِمـاحُهُمُ ... وَيَسـفَحونَ عَلَيـهِ عَـبرَةً نَشَـجا[4]

قَـد كـانَ يَعلَـمُ إِذ لاقـى الحِـمامَ ضُـحىً ... لا طالِبًـا وَزَرًا مِنـهُ وَلا وَحَجـا[5]

أَن سَـوفَ تُهـدى إِلى آثـارِهِ بُهُـمًا ... يُمسي الـرَدى مُسرِيًا فيهـا وَمُـدَّلِجا[6]

لَـو لَم يَكُـن هَكَـذا هَـذا لَدَيـهِ إِذًا ... مـا مـاتَ مُستَبشِرًا بِالمَوتِ مُبتَهِجـا[7]

لَـو أَنَّ فِعلَـكَ أَمسـى صـورَةً لَثَـوى ... بَـدرُ الـدُجى أَبَـدًا مِـن حُسـنِها سَـمِجا

---

(١) الشزب: الضوامر. القتام: غبار الحرب.

(٢) يوسفيون: أي قوم من رهط الممدوح محمد بن يوسف. الهوج، مفردها أهوج: أي أن يركب الرجل الرجل رأسه بغير أناة ولا روية. الأفن: قلة العقل. أي لشدة إقدامهم تحسبهم هوجًا.

(٣) أراد بالمأدبة: أنه يرى إقدامه تلبية لدعوة. خدا: أسرع. الوسج: ضرب من سير الإبل.

(٤) يقول: إن رماح اليوسفيين تخبر بموت محمد، وهو رجل منهم قتل فأدركوا برماحهم ثأره. النشج: النشج: الغصص بالبكاء.

(٥) الوزر: المعتصم. الوحج: الملجأ.

(٦) أثاره، مفردها ثأر. البهم، مفردها بهمة: الفارس الذي لا يدرى كيف يؤتى له، كأنه قد أبهم أمره. يريد أن هذا القتيل كان يعلم بأنك سوف تهدي إلى الذين قتلوه جيشًا يأخذ بثأره.

(٧) لم لم يكن هذا لديه: أي لو لم يكن القتيل يعلم هذا، لم يسلم نفسه للموت مع قدرته على النجاة.

وقال يهجو يوسف السراج: [من الكامل]

أَمسِك بَلِ اِستَمسِك لِوَقعِ هَياجي ... فَلَتَسأَمَنَّ عُذوبَتي وَأُجاجي[1]

دَع ما مَضى ـ وَاِستَأنِفِ العَدَدَ الَّذي ... ضَيَّعتَهُ يا مُحصِيَ الأَمواجِ

فَلَقَد أَجِمتَ عَداوَتي مَمزوجَةً ... وَلَأُسعِطَنَّكَها بِغَيرِ مِزاجِ[2]

يا اِبنَ الخَبيثَةِ لا تُعَرِّض صَخرَةً ... صَمّاءَ مِن مَجدي بِعِرضِ زُجاجِ[3]

أَصبَحتَ نِيَّ العَقلِ فاصِلَ بِميسَمٍ ... يُبدي أَلَجَّ الناسِ في الإِنضاجِ[4]

ما إِن سَمِعتُ وَلا أَراني سامِعًا ... حَتّى المَماتِ بِشاعِرٍ سَرّاجِ[5]

مَن كانَ تَوَّجَ رَأسَهُ فَلِيوسُفٍ ... شُعَبٌ يَقُمنَ لَهُ مَقامَ التاجِ[6]

حَرَنَ الزَمانُ بِهِ فَلَملَجَ كَشحُهُ ... عَن شِركَةٍ في البَغلَةِ الهِملاجِ[7]

لِلمَرءِ في القُرآنِ أَربَعُ نُسوَةٍ ... وَلِتِلكَ أَربَعَةٌ مِنَ الأَزواجِ

بَيضاءَ في بيضٍ يَطُفنَ بِأَسوَدٍ ... في سودِ غافِقَ مُحصَدي الأَثباجِ

ما إن أشبه بيضهن وسودهم ... إلا تيوسًا أجفلت بنعاج

---

(١) أجاجي: مرارتي.

(٢) أجمت: كرهت، من أجم اللبن: كرهه. أسعطه الدواء: أدخله في أنفه.

(٣) لا تعرض صخرة من مجدي: أي لا تعوض من مجدي بمتاع زجاج.

(٤) النيء من اللحم: الذي لم ينضج . إصل: أمر من صلى النار: قاسى حرها، أو احترق بها. الميسم: الحديدة أو الآلة التي يوسم بها، يكوى بها.

(٥) السراج: صانع السروج وبائعها.

(٦) يهزأ به ويقول إن الملوك تلبس التيجان أما يوسف هذا فقد نبتت له قرون.

(٧) هملج: مشى مشية سهلة وسريعة، وحسن سيره. الهملاج: البرذون الحسن السير. الكشح: ما بين السرة ووسط الظهر. وهو يقصد بالبغلة زوجة المهجو.

مـــا إِن تَـــزالُ لَهُـــم مَـــراوِدُ ساسَـــمٍ ... مُـــتَغَلغِلاتٌ في مَكاحِـــلِ عـــاجِ[1]

يـــا أغـــير الثقلـــين غـــير مـــدافع ... أقـــرأت نســـخة غـــيرة الحجـــاج[2]

وقال يصف حال الخلاعة والقصف والشراب: [من الرمل المجزوء]

إِصـــــبِري أَيَّتُهـــــا النَفـــــ ... ـــسُ فَـــــإِنَّ الصَـــــبرَ أَحجـــــى[3]

نَهنِهـــــي الحُـــــزنَ فَـــــإِنَّ الـــــ ... ـــحُـــــزنَ إِن لَم يُنـــــهِ لَجَّـــــا[4]

وَالبَسي الـيَـــأسَ مِـــنَ النـــا ... سِ فَـــإِنَّ اليَـــأسَ مَلجـــا[5]

رُبَّـــما خـــابَ رَجـــاءٌ ... وَأَتـــى مـــا لَـــيسَ يُرجـــى

وَكِتـــابٍ كَتَبَتـــهُ ... مُقلَـــةٌ لا تَتَهَجّـــى[6]

لا تَـــرى عَـــينُ رَقيـــبٍ ... فيـــهِ لِلأَقـــلامِ ثَجّـــا[7]

لَم يُـــبَح فيـــهِ بِسِرٍّ ... لا وَلا أُدرِجَ دَرجـــا[8]

فَأَجابَتـــهُ دُمـــوعٌ ... جُعِلَـــت لِلكَـــأسِ مَزجـــا

---

(١) متغلغلات: ويروى: متغلفات. المراود، مفردها مرود: الميل يكتحل به. الساسم: شجر أسود، أو الأبنوس، أو الشذى. العاج: ناب الفيل.

(٢) الثقلان: الإنس والجان.

(٣) أحجى: أجدر وأولى.

(٤) نهنهي: ازجري وكفي. لج: تمادى.

(٥) اليأس: قطع الأمل.

(٦) المهجة: الفؤاد، الروح؛ ويروى: مقلة.

(٧) الثج: سيلان الماء، ويريد هنا كتابًا كتب من غير مداد.

(٨) أدرج: أدخل، لف.

وَسَـــقيمِ الطَـــرفِ قَـــد غَـــص ... صَـــصَ بِـــالهَجرِ وَأَشـــجى[1]

زارَني وَاللَيـــــــلُ قَـــــــد أَق ... بَـــــلَ نَحـــــوي يَتَـــــدَجّى[2]

حـــينَ نـــالَ العِلـــجَ في سَـــو ... مـــي الَّـــذي كـــانَ تَرَجّـــى[3]

طَلَعَـــــت شَـــــمسٌ عَلَينـــــا ... مِـــــن دِنـــــانٍ تَتَوَجّـــــا[4]

لَـــــذَّةُ الطَعـــــمِ تَمُـــــجُّ ال ... مِســـــكَ في الأَقـــــداحِ مَجّـــــا[5]

كَسَـــــتِ الشَـــــيخَ شَـــــبابًا ... فَاِكتَســـــى شِـــــكلًا وَغُنجـــــا[6]

فَقَضَـــــينا مَنسِـــــكَ اللَـــــ ... ـــــهِ وَإِن لَم نَنـــــوِ حَجّـــــا

(١) الطرف: العين. أشجى: أحزن.

(٢) يتدجى: يظلم.

(٣) العلج: الرجل الضخم من كفار العجم. سومي: تكليفي، ويقصد المساومة على ثمن الخمر.

(٤) الدنان، مفردها دن: وعاء الخمر. تتوجى: من وجأ الدن: ثقبه بالمبزل.

(٥) تمج المسك: تقذفه.

(٦) الشكل: دلال المرأة وغنجها.